190582

مجموعة المراثى

التى ألقاها طلبة دار العلوم فى المدرسة

لتأبين زميلهم المرحوم الشيخ عبد الغفار الطاطلي

يوم الأربعاء (٢٨ ربيع الثانى سنة ١٣٤٢)

٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٣

مجموعة المراثى

التى ألقاها طلبة دار العلوم فى المدرسة

لتأبين زميلهم المرحوم الشيخ عبد الغفار الطنامل

يوم الأربعاء (٢٨ ربيع الثانى سنة ١٣٤٢)

٥ ديسمبر سنة ١٩٢٣



مطبعة السعادة الاقتصادية

مقدمة

لم يودع شهر أغسطس سنة ١٩٢٣ حتى ودع المرحوم « الشيخ عبد الغفار محمد الطناملى » عن ثلاث وعشرين سنة ؛ قضاها بنفس يغذي جوانبها الأمل بأدراك مايرجي من اماني . واعتقاد بأن الجد هو المطية التى يقطع عليها الشاب مجاهل الحياة . والاعتماد على النفس هو الكوكب الذى يضيء للانسان ظلمات المستقبل المتكاثفة . فيلذ له العمل . وتطيب له المثابرة . ولقدكان «طيب الله ثراه » طموحا إلى المعالي . نزاعا الى بلوغ اسباب المجد . عرفناه في « دار العلوم » فعرفنا فيه قريحة وقادة . وبديهة حاضرة . ومدارك عالية . ونظرا بعيدا . ورأيا سديداً . ومنافسة شريفة . في عذوبة روح . وصفاء نفس . ونقاوة قلب . وثغر باسم . وسن ضحوك . وحديثا يفيض لطفا . ومجاملة تنطق بسمو عواطفه . وتنم عن رقيق وجدانه . قطع هذا الشوط القصير من حياته بين اقتناء صديق . وتزود بالعلم . يحرص على وقته حرص البخيل على النضار ، والحسناء على السوار ، نزاعا إلى الاجتماع بماثل الصحاب ، مرتديا ثوب الآداب ، عذب الروح ؛ يألف ويؤلف ،

يعشق جمال الفنون ، وتقرأ في اساريره وجهه الوقار والسكون ، على أنه المثل الأعلى للنزاهة واعتناق الفضائل ، وتقديس الواجب ، والغيرة على الدين.

ولو كان لقلمي أمل فى القدرة على وصف عقد من مزاياه ، أو سرد طائفة من سجاياه لسال فى عرض واديها ، وأبان كل مافيها ، ولكني مهما أجهدت نفسى فى ذكر بعض ما ملك به قلوبنا من اخلاق سقانا من زلالها وفضائل طوقنا بجلالها ، وآداب بهرنا بجمالها ، فأنا العاجز عن وصفه ، وهو الذى اصطفاه مولاه ، ليتمتع بجزيل الثواب في اخراه جزاء ماقدم فى دنياه فنسأل الله أن يسكنه فسيح الجنان ، ويغمره بالرحمة والرضوان م؟

حسن علوان

كلمة الافتتاح

﴿ للشيخ على السيد الجندى ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله وإنا اليه راجعون سبحانه كل شيء هالك إلا وجهه لا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه يرث الأرض ومن عليها واليه المرجع والمآب ابتهل اليه تعالى أن يمدني بروح من عنده اتثبت بها في هذا الموقف الذى قدر لى فيه أن أندب أخا فى الذروة العليا من الاخاء . فارقنا غير مودع فراقا لالقاء بعده إلى يوم الدين أكثر ما نكون اغتباطا به واعتمادا عليه واحتياجا اليه فكان الحدث جللا والخطب فدحا لا ينجع فيه الصبر يجدي معه العزاء .

قضى عبد الغفار غفر الله له في نضارة سنه وميعة صباه في ريعان شبابه وعنفوان فتائه فأى بدر محق ليلة تمامه وشمس كورت رأد الضحى وزهرة ذبلت وهى رائعة ناضرة وناشىء حين حمامه قبل يوم حمامه

لو أن المنية وافت اليه وقد قضى من الحياة لبانته . ونال من العيش أربه لخفضنا من لواعج الاحزان ولملنا الى جانب السلوان ولكن لنا شأنا غير ذلك الشان . فاما وهو لم يطو الثالث والعشرين ربيعا فانىس أمن

يفض ماؤها عذر

ان ميتة الشاب من حيث ذاتها تستدر المدامع وتقض المضاجع وتكون أشد وقعا وانكى ألما اذا كان الشاب منتظما في سلك التعلم فهو اذ ذاك فسيح الأمل كثير التعلق بالحياة حريص على كسب الحمد واقتناء المجد يعيش في جو من الخيال البديع ويهيم فى واد من الحلم اللذيذ ويصوغ من سوانح خواطره قلائد وسموطا تحلى بها اليان مستقبله حتي اذا نزل به ركب المنون سلبه نفسه ونفائسه فى وقت واحد . لذلك اسفنا على الراحل الكريم أسفا مضاعفا ووجدنا عليه وجدا مبرحا هذا الى انه طيب الله ثراه كان مثالا من أمثلة الكمال وعنوانا من عناوين الفضيلة ومظهرا من مظاهر الشرف نعمنا بصحبته ثلاث سنوات مرت كطيف الخيال ما شئنا ان نرى خلة من خلال الخير ولا صفة من صفات البر الا وجدناه متقمصا ثوبها مدرعا جلبابها في ذمة الله ذلك الشباب الغض والخلق الطاهر والعقل الوافر والذكاء البالغ النهاية والعبقرية التي ليست وراءها غاية على ان الموت وان انتزعه منا وابعده عنا فروحه مرفرفة علينا وذكراه ماثلة لدينا وصورته مرتسمة على قلوبنا وآثاره مصونة بين جوانحنا حتى يجمع الله بيننا وبينه فى فردوس جنانه ومقر احسانه

وانه ليبرد شيئا من غليلنا انا فقنا الى ان نقيم له حفلة تأبين هي بعض مايجب له في اعناقنا واقل مانقوم به نحوه والله يتولى عنا ما قصرنا

فى ادائه ويسبغ على الفقيد ظل رحمته انه كريم مجيب ؟

كلمة الشيخ عبد اللطيف عفيفى

يالقومى لقد برانا المسير خبرونى فأين أين المصير
أول الركب في بطون الليالى وعلى اثره يجد الاخير
فقفوا بالديار وابكوا عليها إن عهد المقام فيها قصير
ليت شعرى إذا تناسل قوم أقصور تبني لهم أم قبور
فجميع الانام في الدهر شرب والمنايا كؤوس خمر تدور
ولكل لوغاب يرجى اياب واخوا الموت غائب لا يحور
فاسيئوا بذلك الدهر ظنا فوثوق به ضلال وزور
كم مآذيه تغطى لآل كم بظلمائه توارى بدور
هاك عبد الغفار في بطن لحد مثلما تستر الالباب القشور
لايلبى كلالة أى داع أو يحيي بلطفه من يزور
كم له في الحياة آمال صدق ذاخرات فأودعتها الصخور
مااستطاعت حياته حمل ماهم لها إذ به تنوء الدهور
فقضي نحبه ولما يمتع بشباب يغذوه خلق نمير
وكذا دهرنا فليس عجيبا أن يموت الفتى ويحيى الكبير
إن تلك الحياة ميدان سبق قد يفوق الكبير فيه الصغير

إننا في الحياة زهر بروض لا يروق المنزن إلا النضير
أيها الخل مذ تواريت عنا وجيوش الضنى علينا تغير
فلقد كنت للمجالس أنسا يجتلى منك في البلاء السرور
حل في القبر إذ حلات ثراه أدب يانع وفكر غزير
فتحلت بك القبور جميعا إذ زراها يلوح منهن نور
لك بين الأموات نور وفينا خير ذكر يفوح منه العبير
فلتنم في الثرى وانت قرير موت من طاب ذكره لا يضير
إن تكن قد طوتك هذه الليالى بعد نشر فقد حوتك الصدور
لن نخون العهود في البعد حتى يجمع الحب بالمحب النشور

﴿ كلمة الشيخ محمد عبد الحليم اسماعيل ﴾

إخواني : لم أتعود من قبل أن أقف فيكم ناعياً وبينكم راثيا مقصوص الجناح دامع العين خافق القلب تعلو وجهي سحابات الأسى والحزن وتعروني رعدة ولا كرعدة المحموم هكذا قدر لى أن اكون . وهكذا خط القضاء في صحيفة حياتي أن اكون هدف الالآم المره وعرض المتاعب القاسية . نعم انها حملة على حملة لم يردها عني القدر فقد انتهبت المنايا غصنا رطيبا وزهرة في رياض العلم ناضرة ودوحة في جنات الأدب باسقة تغذى ثمارها وتظل بوارف ظلالها كل من أم أو قصد

إخواني : أراد الله ولا مرد لارادته أن يكون أخوكم المأسوف على شبابه الغض . على ذكائه النادر . ضحية من ضحايا المنون فقضي نحبا شهيداً في ميدان الجهاد العلمي وفاضت روحه صاعدة إلى السماء فرحة مستبشرة تلقى ما أعد لها في روضات الجنات

إخواني : لقد كان في فقيدنا من صفات الكمال ما يعجز عن حصره البيان ويعيا عن ايراده اللسان فلقد كان آية في سمو الاخلاق ورجاحة العقل وطهارة الضمير وشرف النفس ولين الجانب ونقاء السريرة وحسن السيرة

هكذا عهدت عبد الغفار كما الفت والف منه الاخوان أن نراه وقد طبعت على ثغره ابتسامة هي رمز الوداعة ودليل الصفاء .

ولكن الدهر الذى يخدع بالمنى وينغص ان هنا ويهدم ما بني أبى إلا أن يكون موضع الرجاء وزهرة الأمل ورجاء الأب وسلوة الأم منتهى قصيده تسدد اليه رميته وعجل عليه الخسوف قبل أوانه وأتى عليه في ريعانه وعنفوانه

يا كوكباً ما كان أقصر عمره — وكذاك عمر كواكب الاسحار
وهلال أيام مضي لم يستدر — بدرا ولم يمهل لوقت سرار
عجل الخسوف عليه قبل أوانه — فمحاه قبل مظنة الابدار
واستل من أترابه ولداته — كالمقلة استلت من الأشفار

أى شهيد العلم . وفقيد الجد وعنوان الشباب الناهض . يجتمع اليوم

أخلاؤك . أحباؤك . اصدقاؤك . الذين تركتهم وأعينهم تفيض من الدمع حزناً على فراقك وغادرتهم وكلهم أسي على اغترابك . أولئك الذين ترعرع معروفك في قلوبهم ونشر طيب خلقك نشره في نفوسهم فامتلئوا بالذكرى التي تستنزف من العيون العبرات وتفعم القلوب بالحسرات .

هم الآن ينادونك وأنت تحت أطباق الثرى وروحك ترفرف فوقهم وتطوف حولهم يرتلون أنشودة الرحمة ويكتبون لك بمزيد الفخر والاعجاب شهادة الصدق في القول والاخلاص في العمل .

فنم في قبرك هادئاً مطمئناً ناعم البال قرير العين فنحن نذكرك وسنذكرك ما ترددت أنفاسنا ونبضت في العروق دماؤنا .

ولا تحسب أنك مت كما يموت كافة الناس . لا . بل قضيت كما قضى ذلك الجندى الشريف شريف النفس طاهر الذيل .

ألا فرحمة الله وبركاته عليك . فانا لفراقك لمحزونون . وإنا لله وإنا اليه راجعون . نسأل الله لك المثوبة وحسن الجزاء ولآلك الصبر والعزاء م ؟

﴿ كلمة الاستاذ الشيخ عبد الحميد سيد احمد عيسي ﴾

دمعة الصداقة

بكاء ومن أبكيه ليس بآيب ... وهم ومن أرثيه ليس بغائب

لئن غيب الجثمان منه بحفرة ... فذكراه فينا الدهر أكرم صاحب

أفي كل يوم للنوادب مأتم على نابه قد بات طي الغياهب؟
فيالك من دنيا تكاثر شرها علينا فبتنا طعمة للمصائب
يشب الفتى حتى إذا تم سعيه أتته المنايا قبل ورد المشارب
وان نهاري ليلة مدلهمة على صاحب قد كان جم المناقب
أتته المنايا بعد أن دان جنيه لأفعاله والدهر الأم غاصب
فتى كان عالي النفس أيسر همه مداناته للشمس بين الكواكب
وكم ليلة قد بات يرنو لمطلب عظيم ونفس الحر أكبر طالب

***

عزيز علينا أن يفرقنا الردى سراعا ولما نجن بعض المطالب
كأن له ثأراً علينا قضاؤه فأرواحنا تجبي كجبي الضرائب
وأن حياة المرء يوم وليلة تسير به سير الذلول براكب
فيا (عابدالغفار) جئتك راثياً خلالا ثلاثاً لست فيها بكاذب
أأبكي بياناً أم ذكاء وهبته أم ارثي بنانا كان أمهر كاتب
(عهدتك تهوى السبق في كل حلبة فهل أنت في الاخرى بأعلى المراتب)
فدى للك نفسي يوم طاف بك الردى ويوم طويت العمر بين الاقارب
فكم من عيون قد تقرح جفنها عليك تسح الدمع سح السحائب

***

إذا قلت رفقاً يا زمان بمهجتي رمى بهمو في موجه المتراكب

يرينا ودادا وهو يخبي اكيده فأفناله فعل العدو المحارب
كثير حياة المرء مثل قليلها يزول وباقي عيشه مثل ذاهب
ويا (عابد الغفار) قد كنت كوكبا أتاه السرار قبل نيل الرغائب
فأودعتنا حزناً تأرث جمره وبتنا نقاسي الهم من كل جانب
فنم في رياض الخلد وانعم بعرفها وسابق إلى الفردوس كل مطالب
ويا قبر رفقاً قد ظفرت بخير ويا عين سحاً قد رميت بصائب

﴿ كلمة الاستاذ الشيخ محمد عبد العظيم ﴾

أكذا يكيد الدهر للأمجاد اكذا تقر الأسد في الاصفاد
أوكل يوم تفتك الاحداث با ساعين في الاصلاح والارشاد
ندع الذين حياتهم كمماتهم متضافرين مع الزمان العادي
في مأمن من شره وصروفه فلذاك قد ظفروا بكل مراد
أما الذين علت نفوسهم وجل صنيعهم فسموا على الانداد
فالدهر بين صباحهم ومسائهم أبداً يطاردهم أشد طراد

**

ياحاملي نعش الأبي وصفوة الا أخيار والكرماء والأنجاد
كيف ارتضيتم وضعه تحت الثرى هل ذا مصير الكوكب الوقاد
قد كان يرغب أن يكون لقومه نعم المعلم فيهموا والهادي

فقضى غضارة سنه في الدرس والـ تحصيل لا يثنيه كيد معادى
تخذ الفضيلة والكمال شعاره وخلت جوانحه من الأحقاد
لم تلهه الدنيا بعاجل برها الـ فاني فجالدها أشد جلاد
ليس الشجاع القاتل الاقران في ساح الوغي وممزق الأعضاد
ان الشجاع هو الذى ذلت له أهواؤه وكفاه أيسر زاد

أعزز على بأن أرى هذى الرمو س تحولت شركا لكل جواد
أعزز على بأن أراه مجندلا في منزل متزاحم الأضداد
عهدى به ذا عزمة عمرية اربت صلابتها على الاصلاد
فلم استراح إلى السكون وآثر الـ صمت الرهيب على جليل جهاد
ياويح يوم طوحت أيدي الردى فيه بغصن شبابه المياد
يوم أثار لواعجا وتمزقت مما أصاب فلائذ الاكباد
فتذى لعين ان ونت عبراتها حب القلوب لها من الامداد

﴿ كلمة الاستاذ الشيخ عبد العزيز أدين ﴾

دمع العيون على الخدود يسيل والقلب من ألم الفراق عليل
أغبتني بالجسم هجرتني هل لى اليك تقرب ووصول
أبكي عليك وفى الفؤاد تأجج هيهات يجدى بعدك التعويل

نبكي عليك مدى الزمان بلوعة وبكاؤنا طول الزمان قليل
قد كنت في دار العلوم كزهرة حسناء في الروض الاريض تميل
قد كنت آمل أن عمرك طائل والآن خاب القصد والمأمول
يا صاح ما بال الحياة قصيرة والنوم في فرش التراب طويل
كم من تقي أبعدته يد الردى وقضى عليه الدهر والتنكيل
ما المرء في هذى الحياة كما نرى إلا خيال سائر ويزول
كل له بين الفؤاد رغائب وإذا الرغائب والمنى تضليل
سل المنون لنا المهند كاشرا فأصاب من بالمكرمات كفيل
أبكيك يا عبد الغفور بعبرة يبقى لها طول الحياة مسيل
بالأمس كنت وكان فينا ذكركم واليوم في جوف التراب نزيل
دار العلوم فقدت أنبغ طالب فطن وفي عين الجميع جليل
واحسرتاه عليه يوم مماته ذهلت عليه بصائر وعقول
يا لهف نفسي لهفها من صدمة كم لي عليك مناحة وعويل
هل بعد رزئك ياخليل مصيبة أو بعد موتك للحياة سبيل
عفت المكارم بعد موتك والتقى والعلم بعدك بائس وذليل
قضيت عمرك مااقترفت صغيرة كلا ولاللموبقات تميل
في رحمة الله العلي تمتعا والله بالنعماء لهو كفيل

﴿ كلمة الشيخ ابراهيم سليمان ﴾

نجم من العليا أفل ... وهنا وغاب على عجل
أودى الى نزل يضيق ... ولا يليق بمن نزل
ما انفك ذاك القبر مأ ... وى للأواخر والاول
ان شرقوا أو غربوا ... فناره ملقي السبل
هو مبغض للناس الا ... أنه أبدا يحل

***

يانازل البيت الوضيع ... وتارك البيت الأجل
كيف التحول عن محلات ... كيف هذا المرتحل
كيف الهبوط الى الحضيض ... وكنت في أعلى محل
النجم منزله السماء ... فلم الى الارض انتقل
قد كان نجم المشترى ... فهوى بكوكبه زحل
فالشهب منه في جوى ... والارض منه في جذل
حملوه في اكفانه ... افق وأطهر من حمل
ومشوا به لضريحه ... مشي المقيد في الوحل :
الفضل بين أكفهم ... زم الركائب وارتحل .
والحزن بين ضلوعهم ... متضرم لا يحتمل

ياصاحبا قد كنت أعرفه خلالا كالعسل
ظرفا وأخلاقا وآدابا تحب ولا تمل
وخلائقا ألبستها أبهى عليك من الحلل
ومواهباً جمعت لك السلطان؛ والدنيا دول
لم يمنحوك «حماية» بل أنت فيهم مستقل
ملك البلاغة ان تجل في كتبها أو أن تقل؛
فاذا كتبت وقد هزلت فأنت أظرف من هزل
واذا تجد وقد كتبت ضربت للقوم المثل

***

ياصاحبا أدرى ولم يفسح له طول الاجل
زلت بك الدنيا وأنت مدى حياتك لم تزل
وجنت عليك الحادثات وأنت لم تجن الأمل
وطوت صحيفتك المنون وفصل حظك ما كمل
واختانك الموت الزؤام فاى استاذ ختل
والموت يختار الكرام النابهين اذا أكل
ويذيق أبرار البرية دائبا شر القتل
فعليك ياخل الصبا أبكي بدمع منهمل
وعلى ضريحك رحمة تترى اليك فتستهل

كلمة الاستاذ الشيخ حسن عمر علوان

أنا أن بكيت فبعض حق قد وجب　صلة الدراسة فوق أعلاق النسب
يا راحلا لم أدر يوم فقدته　أفقدت خلا أم فقدت أخا العصب
قد كنت في الدنيا تتوق إلى العلا　وتقل في عينيك مرقاة الشهب
أولست فى الأخرى تسابق أهلها　وتزاحم الأبرار في أعلى الرتب
كم كان همك أن ترى متفوقا　فاريتنا فى الدرس آيات العجب
ولربما يرنو الفتى لمؤمل　وإذا بظفر الموت فيه قد نشب

*

قل للذى لعب الشباب بعقله　فغوى ، أفق ، إن المنية ترتقب
هلك الفتى قبل الأوان أفادنا　إن الحياة مطية لا ترتكب

*

من ظن منكم فى البقاء تنازعا　يبقى المجد وذو الخمول له العطب
فليعلمن أن البقاء كغيره　أمر من العلام عنا محتجب
كان الذى نرثيه أنبغ نابه　فينا وكشكول المعارف والادب
ومثالا كل الصعب يجده　لم يدر طول حياته معنى النصب
أكفاه شر الدهر صارم عزمه　ووقاه غدر الموت عمر من ذهب ؟
هذى الحياة عدوها كصديقها　والرأس يوم عبوسها مثل الذنب
تلد الخلائق للهوان وكلنا　يصبو لها مهما تمادت في النوب

ولكم نرى فيها فتى ومعمراً هذا يساق إلى المنون وذا يذب

****

قد كنت أطرب للحياة وما بها ولزخرف الدنيا وزينتها طرب

فبني خيالى فى السماء مواطني وسمت بى الآمال فوق ذرا الخسب

وركنت للدنيا ركون مخلد ونسيت أن الموت يرصد عن كثب

حتى غدا رهن القبور أخو العلا وهوى بمدرجة النوائب والكرب

فوهبت آمالى ونفسى للردى وعلمت أن مظاهر الدنيا كذب

***

« يا عابد الغفار » لم تتراك سوى كبد محرقة ودمع منسكب

رفرف بروحك فوقنا حتى ترى ما بين محزون عليك ومكتئب

نم في جوار الله واحظ بخلده فسعادة الأبرار نعم المنقلب